

سلسلة كُنْ

كُنْ متفائلاً

إعداد

خيَّاط محمد النَّمَس

تحت إشراف

عاطف عبد الرشيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّفَاوُلُ ثَقَةٌ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَغُفْرَانِهِ وَيَقِينٌ فِي عَطَائِهِ، وَتَأَكُّدٌ
مِنْ فَرَجِهِ وَقَتِ الشَّدَائِدِ وَالصَّعَابِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ
يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وَتَكْمُنُ فَائِدَةُ التَّفَاوُلِ فِي أَنَّهُ يَجْعَلُ الْمَرْءَ مُقْبِلًا عَلَى
الْحَيَاةِ، غَيْرَ نَاقِمٍ عَلَى نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، فَيَصِيرُ بِذَلِكَ
مُحِبِّيًا إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَمُقَرَّبًا إِلَى النَّاسِ.

وَالْمُسْلِمُ يَعْرِفُ أَنَّ الْيَأْسَ وَالتَّشَاوُمَ لَا يَجْلِبَانِ إِلَيْهِ خَيْرًا،
وَلَا يَدْفَعَانِ عَنْهُ أذى. وَالدُّنْيَا بِمَا أُوتِيَتْ مِنْ أَلْوَانِ الْخَيْرِ تَدْعُو
الْمَرْءَ دَائِمًا إِلَى الرَّجَاءِ وَالتَّفَاوُلِ، وَتَبْغِضُ إِلَيْهِ الْيَأْسَ وَالتَّشَاوُمَ،
يَقُولُ الشَّاعِرُ:

هَشَّتْ لَكَ الدُّنْيَا فَمَا لَكَ وَاجِمٌ

وَبَسَّيْتُمْ فَعَلَامَ لَا تَبَسَّيْتُمْ

وَلِلْعَبْدِ الْمُتَّصِفِ بِالتَّفَاوُلِ وَالرَّجَاءِ الْبُشْرَى فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التَّوْبَةِ: ٢١].

كُنْ رَاجِيًا مُتَّفَائِلًا

لَنْ يَكْتُمَلَ إِيمَانُ امْرِئٍ مَا لَمْ يَكُنْ رَاجِيًا مُتَّفَائِلًا تَارِكًا الْقُنُوطَ وَالتَّشَاؤِمَ. وَمِنْ صُورِ الرِّجَاءِ وَالتَّفَائُلِ الَّتِي نَدْعُوكَ إِلَيْهَا: رَجَاءُ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَثَوَابِهِ، وَالتَّفَائُلُ بِعَفْوِهِ وَفَرَجِهِ وَالْفَوْزِ بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ.

كُنْ مُتَّفَائِلًا بِعَفْوِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ

كَتَبَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وَدَعَا عِبَادَهُ إِلَى الثِّقَةِ فِي رَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَهُوَ - عَزَّ وَجَلَّ - الْعَفُوُّ الْعَفُورُ.

يَقُولُ - تَعَالَى - عَنْ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ: ﴿أَمِنْ هُوَ قَلَنْتَ عَانَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزُّمَرُ: ٩].

* كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُقِ التَّفَائُلِ بِعَفْوِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِمَا يَلِي :

الثِّقَةُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ: كُلُّ مُسْلِمٍ يَتَّقُ فِي رَحْمَةِ رَبِّهِ، وَلَا يَشْكُ فِي أَنَّهَا تَسَعُ النَّاسَ وَالْخَلْقَ جَمِيعًا.

يَقُولُ - عَزَّ وَجَلَّ - مُؤَكِّدًا أَنَّ رَحْمَتَهُ لَا حُدُودَ لَهَا:
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَدِمَ عَلَيَّ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبِيٍّ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى حَتَّى إِذَا
وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتْهُ بِبَطْنِهَا فَأَرْضَعَتْهُ. فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ
(تُلْقِيهِ فِي النَّارِ)؟". قُلْنَا: لَا وَاللَّهِ. فَقَالَ: "لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ
هَذِهِ بَوْلَدِهَا" [متفق عليه]

٢ - رَحْمَةُ اللَّهِ سَبَقَتْ غَضَبَهُ: بَيَّنَّ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّ
رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ؛ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ
الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي
تَغْلِبُ غَضَبِي، وَفِي رِوَايَةٍ: غَلَبَتْ غَضَبِي، وَفِي رِوَايَةٍ: سَبَقَتْ
غَضَبِي" [متفق عليه].

٣ - غُفْرَانُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ: كَتَبَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مَعْفِرَتَهُ
لِكُلِّ عَبْدٍ مُذْنِبٍ إِذَا مَا صَدَقَ فِي التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ؛ عَنْ ابْنِ
عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

"يُدْنِي الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَفَّهُ (رَحْمَتَهُ وَسِتْرَهُ) فَيَقْرَرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ. قَالَ: قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

٤ - فِعْلُ الْخَيْرَاتِ وَالْحَسَنَاتِ: يَتِمُّ رَجَاءُ الْعَبْدِ وَتَقَاوُلُهُ إِذَا مَا فَعَلَ صُنُوفَ الْخَيْرِ وَصُورَ الطَّاعَاتِ؛ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - قَوْلَهُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الْجَمِيعُ أُمِّي كُلِّهِمْ" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

٥ - التَّوْبَةُ: يَصْدُقُ رَجَاءُ الْعَبْدِ إِذَا تَابَ عَنْ ذُنُوبِهِ، وَعَزَمَ أَلَّا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا؛ عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا" [مُسْلِمٌ].

٦ - الْاِحْتِسَابُ بِاللَّهِ: إِنَّ مَنْ يَحْتَسِبُ وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَا يَعْرِفُ الْقُنُوطُ وَالْيَأْسُ إِلَيْهِ طَرِيقًا؛ وَعَنْ ابْنِ

عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" قَالَهَا
إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: إِنَّ
النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا حَسْبُنَا
اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" [البُخَارِيُّ].

٧ - **الْاِقْتِدَاءُ بِالصَّحَابَةِ:** لَقَدْ أَحْسَنَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ الرِّجَاءَ وَالتَّفَاؤُلَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ. وَلَعَلَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ
- رضي الله عنه - كَانَ أَسْبَقَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ؛
يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ - رضي الله عنه - عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًّا مِنْ أَخِي ثَقَّةٍ
فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَثَقَّاهَا وَأَفْضَلُهَا
بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْلَاهَا بِمَا حَمَلَ
وَالثَّانِي وَالتَّالِي وَالْمَحْمُودُ مَشْهُدُهُ
وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرِّسَالَةَ

✽ ثَمَارُ التَّمَسُّكِ بِالرَّجَاءِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَالتَّفَاوُلِ بِعَفْوِهِ :

١ - غُفْرَانُ الذَّنْبِ : يَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى ذُنُوبَ عِبَادِهِ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ الْمُتَفَائِلِينَ بِعَفْوِهِ ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى قَالَ : "أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا يَشَاءُ " [متفق عليه] . قَوْلُهُ : "فَلْيَفْعَلْ مَا يَشَاءُ" أَيُّ : مَا دَامَ يُذْنِبُ وَيَتُوبُ فَإِنِّي أَغْفِرُ لَهُ .

٢ - الْحَفِظُ مِنَ السُّوءِ : يَحْفَظُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَبْدَهُ الرَّاجِي رَحْمَتَهُ الْمُتَفَائِلَ بِعَفْوِهِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَسُوءٍ ؛ قَالَ تَعَالَى إِنْخَبَارًا عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ : ﴿وَأَفْوَضْ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ٤٤ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوءًا ﴿٤٥﴾ [غافر: ٤٤ - ٤٥]

٣ - **حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ** : الرَّجَاءُ وَالتَّفَاوُلُ يُنْمَانِ عَنْ حُسْنِ ظَنِّ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ ، فَلَيْسَ حَسَنَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ مَنْ يِيَّاسُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ ؛ عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ : " لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " [مسلم] ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ... " [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ] .

٤ - **الثَّبَاتُ مِنَ اللَّهِ** : يُثَبِّتُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ مَنْ يَرْجُو رَحْمَتَهُ وَيَتَفَاءَلُ بِعَفْوِهِ - سُبْحَانَهُ - ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

كُنْ مُتَفَائِلًا بِفَرْجِ اللَّهِ

لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ فِي مَنَاجَى مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشَّدَائِدِ وَالصَّعَابِ ، وَالْمُسْلِمُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الَّذِي يَرْجُو عَفْوَ اللَّهِ وَيَتَفَاءَلُ بِفَرْجِهِ عِنْدَ كُلِّ مَكْرُوهِ يُحِيطُ بِهِ .

* **كُنْ مُتْلِزِمًا بِخُلُقِ الرَّجَاءِ فِي عَوْنِ اللَّهِ وَالتَّفَاوُلِ بِفَرْجِهِ بِمَا يَلِي :**

١ - **تَفْوِضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ** : إِذَا أَصَابَ الْمَرْءَ مَكْرُوهُ فَفَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى خَالِقِهِ ، وَجَدَهُ مُعِينًا لَهُ وَمُفَرِّجًا كُرْبَتَهُ ، فَبِئْسَ

ذَلِكَ يَقِينٌ بِأَنَّ مَا يُصِيبُ الْمَرْءَ إِنَّمَا هُوَ مُقَدَّرٌ عَلَيْهِ. يَقُولُ
تَعَالَى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

٢ - **الثِّقَةُ فِي اللَّهِ**: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَثِقَ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ
- عَزَّ وَجَلَّ - فَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى عَوْنِ الْعَبْدِ وَتَفْرِيجِ كُرْبَتِهِ؛
لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ وَصَاحِبُهُ مُهَاجِرِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، اخْتَبَأَ
الرَّسُولُ وَأَبُو بَكْرٍ بَغَارِ ثَوْرٍ، فَتَبِعَهُمَا الْكُفَّارُ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى
الْغَارِ، وَلَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ تَحْتَ قَدَمِهِ لَأَبْصَرَ النَّبِيَّ وَصَاحِبَهُ.
يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ،
وَهُمْ عَلَى رُؤُوسِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ
تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ ﷺ: " يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بَاثْنَيْنِ
اللَّهُ تَالِهُمَا؟ " [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

٣ - **الدُّعَاءُ**: الدُّعَاءُ الْخَالِصُ لَوَجْهِ اللَّهِ يَفْتَحُ لِصَاحِبِهِ بَابَ
الْعَوْنِ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ؛ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ،
تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ
أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أَظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ" [أَبُو
دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ].

* ثَمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ الرَّجَاءِ فِي عَوْنِ اللَّهِ وَالتَّفَاوُلِ بِفَرْجِهِ :

١ - النِّجَاةُ وَالنُّصْرَةُ: تَكُونُ النِّجَاةُ وَالنُّصْرَةُ جَزَاءً لِكُلِّ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِالرَّجَاءِ فِي عَوْنِ اللَّهِ، فَلَا يَيْأَسُ مِنْ تَحَقُّقِ فَرْجِهِ - سُبْحَانَهُ -؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كَانَ آخِرُ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

٢ - نِعْمَةُ اللَّهِ وَفَضْلُهُ: يُثِيبُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - كُلَّ رَاجٍ عَوْنَهُ، مَتَّفَاعِلٍ بِفَرْجِهِ وَنِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿[آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

٣ - وَعْدُ اللَّهِ: يُجَازِي اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْمُؤْمِنِينَ الرَّاجِينَ عَوْنَهُ بِأَنْ لَا يُخْلِفَهُمْ وَعْدَهُ الَّذِي وَعَدَهُمْ إِيَّاهُ، وَهُوَ الْفَوْزُ بِنِعَمِ الْجَنَّةِ الْمُقِيمِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

كُنْ مُتَفَائِلًا بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ رَاجِيًا ثَوَابَ الْجَنَّةِ

أَعَدَّ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْجَنَّةَ بِنَعِيمِهَا الْمُقِيمِ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلِيعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَمَا أَرْبَحَ تِجَارَةَ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي تَقُودُهُمْ إِلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

كُنْ مُلتَزِمًا بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ بِمَا يَلِي:

١ - الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ: إِنَّ كُلَّ رَاجٍ ثَوَابَ الْجَنَّةِ يَشْهَدُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ عَنْ عِبَادَةِ ابْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ" [مسلم].

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "يَا مُعَاذُ قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ. (ثَلَاثًا). قَالَ: "مَا مِنْ عَبْدٍ

يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ
إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أَخْبِرُ بِهَا
النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: "إِذَا يَتَكَلَّمُوا"، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ
تَأْتُمًا. [متفق عليه]. (تَأْتُمًا: أَيَّ خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْإِثْمِ بِسَبَبِ
كَتْمِ هَذَا الْعِلْمِ).

٢ - الْعَمَلُ بِالْمُوجِبَتَيْنِ: أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِالْمُوجِبَتَيْنِ،

فَإِذَا لَمْ يُشْرِكِ الْمَرْءُ بِاللَّهِ شَيْئًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ؛ عَنْ جَابِرٍ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ أَغْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ قَالَ: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ
الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ [مسلم].

٣ - إِرْضَاءُ اللَّهِ لِرَسُولِهِ فِي أُمَّتِهِ: مِنْ دَوَافِعِ الرَّجَاءِ

وَالْتَفَاوُلِ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ وَثَوَابِ الْآخِرَةِ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - وَعَدَ الْأَ
يُخْزِيهِ فِي أُمَّتِهِ، فَهِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ
- عَزَّ وَجَلَّ - فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا
مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إِبْرَاهِيمُ: ٣٦]، وَقَالَ عِيسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ أُمِّتِي" وَبَكَى. فَقَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: "يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلِّهُ مَا يُبْكِيكَ؟". فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ" [مُسْلِم].

٤ - أَدَاءُ حَقِّ اللَّهِ: يَصْدُقُ رَجَاءُ الْمَرْءِ فِي الْجَنَّةِ وَتَفَاوُلُهُ بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ (خَلْفَ) النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: "يَا مُعَاذُ، هَلْ تُدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟". قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: "لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا" [متفق عليه].

✽ ثَمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ التَّفَاوُلِ بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ :

١ - الْفَوْزُ وَالنَّجَاةُ: يَكُونُ الْفَوْزُ وَالنَّجَاةُ حَلِيفَانِ لِكُلِّ رَاجٍ نَعِيمَ الْجَنَّةِ، مُتَّفَاعِلٍ بِثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَيُحَذِّرُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ فَيَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يونس ٧ - ٨].

٢ - دُخُولُ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ: يُكَافِئُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مُؤْمِنٍ رَاجٍ ثَوَابَ الْجَنَّةِ وَنَعِيمَ الْآخِرَةِ بِأَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةُ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ ﷺ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكَ مِنَ النَّارِ" [مسلم] أي: الْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ خَلَفَهُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِذَلِكَ بِكُفْرِهِ.

لَا تَكُنْ قَانِطًا مُتَشَائِمًا

الْقَنُوطُ وَالتَّشَاؤْمُ ضِدُّ التَّفَاوُلِ وَالرَّجَاءِ، وَهُوَ تَمَلُّكُ الْيَأْسِ مِنَ الْمَرءِ، فَتُصْبِحُ الدُّنْيَا أَمَامَ عَيْنَيْهِ أَضْيَقَ مَا تَكُونُ.

١ - لَا عَدَوَى وَلَا طِيرَةَ: نَهَى الرَّسُولُ ﷺ عَنِ الطَّيْرِ (التَّشَاؤْمِ) وَحَبَّبَ فِي التَّفَاوُلِ. عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا عَدَوَى وَلَا طِيرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ". قَالُوا: وَمَا الْفَأَلُ؟ قَالَ: "كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

٢ - الْقَوْلُ الْوَاجِبُ: نَبَّهَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْقَوْلِ الْوَاجِبِ إِذَا مَا تَعَرَّضَ الْمُسْلِمُ إِلَى مَكْرُوهِ؛ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: ذَكَرْتُ الطَّيْرَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "أَحْسَنُهَا الْفَأَلُ، فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ" [أَبُو دَاوُدَ].

٣ - الْيَأْسُ مِنَ الْكُفْرِ: التَّشَاؤُمُ يَقُودُ الْمَرْءَ إِلَى الْيَأْسِ، وَالْيَأْسُ خُلِقَ الْكَافِرِ الطَّرِيدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

٤ - خُلِقَ الرَّسُولُ ﷺ: لَقَدْ كَانَ خُلِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّفَاوُلَ وَالرَّجَاءَ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي حَقَّقَ لِدَعْوَتِهِ السَّامِيَةَ الْإِنْتِشَارَ بِسَائِرِ أَنْحَاءِ الْأَرْضِ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ يَوْمًا مُتَشَائِمًا رَغْمَ مَا تَعَرَّضَ لَهُ مِنْ أَذَى فِي سَبِيلِ نَشْرِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ؛ عَنْ بُرَيْدَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ. [أَبُو دَاوُدَ].

إِعْرِفْ نَفْسَكَ.. هَلْ أَنْتَ مُتَفَائِلٌ؟

كُلُّ إِنْسَانٍ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحَدِّدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ إِذَا كَانَ رَاجِعًا مُتَفَائِلًا أَوْ قَانِطًا مُتَشَائِمًا. وَالْأَسْئَلَةُ التَّالِيَةُ تُسَاعِدُكَ عَلَى أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ، فَهِيَ أَجِبْ بِصَدَقٍ:

١ - هَلْ تَتَّقُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ بِعَبْدٍ أُسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ فِي
فِعْلِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ؟

٢ - إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ، فَأَيُّهُمَا أَسْبَقَ؛ رَحْمَةُ اللَّهِ بِهِ أَمْ
غَضَبُهُ عَلَيْهِ؟

٣ - مَا جَزَاءُ الْحَسَنَةِ؟ وَمَا جَزَاءُ السَّيِّئَةِ؟

٤ - كَيْفَ يَكْفِيُ اللَّهُ عَبْدَهُ الرَّاجِي رَحْمَتَهُ الْمُتَعَاثِلَ بِعَفْوِهِ؟

٥ - إِذَا أَصَابَ أَحَدَ أَصْدِقَائِكَ مَكْرُوهٌ فَتَشَاءَمُ، فَبِمَ تَنْصَحُهُ؟

٦ - مَا الْمَقْصُودُ بِتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ؟

٧ - هَلِ الدُّعَاءُ مِنْ صُورِ الرَّجَاءِ؟

٨ - ذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ الْمُوجِبَتَيْنِ، فَمَا هُمَا؟

٩ - مَا الْمَقْصُودُ بِالطَّيْرَةِ؟ وَمَاذَا تَقُولُ إِذَا حَدَّثَ لَكَ مَكْرُوهٌ؟

١٠ - كَيْفَ كَانَ رَجَاءُ الرَّسُولِ وَتَفَاوُلُهُ مُسَاعِدًا عَلَى نَشْرِ

دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ؟

